فَـإِنْ أَمْـرَضْ فَـمَـا مَـرِضَ اصْـطِـبَـارِي
وَإِنْ أُحْـمَـمْ فَـمَـا حُـمَّ اعـتِـزَامِـي[١]
وَإِنْ أَسْـلَـمْ فَـمَـا أَبْـقَـى وَلٰـكِـنْ
سَـلِـمْـتُ مِـنَ الْـحِـمَـامِ إِلَـى الْـحِـمَـامِ[٢]
تَـمَـتَّـعْ مِـنْ سُـهَـادٍ أَوْ رُقَـادٍ
وَلَا تَـأمُـلْ كَـرًى تَـحْـتَ الـرِّجَـامِ[٣]
فَـإِنَّ لِـثَـالِـثِ الـحَـالَـيْـنِ مَـعْـنًـى
سِـوَى مَـعْـنَـى انْـتِـبَـاهِـكَ وَالـمَـنَـامِ[٤]

المجد للسيف لا للقلم

قال بالكوفة يرثي فاتكاً ويذكر مسيره من مصر:

[البسيط]

حَـتَّـامَ نَـحْـنُ نُـسَـارِي الـنَّـجْـمَ فـي الـظُّـلَـمِ
وَمَـا سُـرَاهُ عَـلَـى خُـفٍّ وَلَا قَـدَمِ[٥]

= إنه شبه سجين لا يستطيع حراكاً ولا يُسمح له ممارسة هوايته، وما يزيد بألمه أنه رهين الفراش فضلاً عن محاولة كافور شلّ حركته مخافة فراره لئلا يهجوه.

(١) أحمم: من الحمّى. يُقرّ الشاعر بأن جسده في حالة إعياء شديد نتيجة ما ألمّ به من مرض، ولكنّ روحه وإرادته وعزمه لم ولن يُؤثر فيها شيء، بل إنه يتمتّع بإرادة صلبة وعزيمة لا تُقهر.

(٢) الحِمام، بكسر الحاء: الموت. يُقرّ الشاعر بأن آتيه حتماً، فإن نجا من الحمّى، فلن يُفلح من الإفلات من براثنه، فلا بدّ من توفّر أسبابه ذات يوم.

(٣) السهاد: السهر. الكرى: النعاس. الرّجام، الواحدة رجمة: حجارة تنصب على القبر. ينطق الشاعر بلسان من مرّ بأزمة عنيفة، ففي حال عودة المرء إلى حال طبيعية فعليه أن ينتهز فرصة الحياة ويتنعّم فيسهر ويفرح ويلهو وينام قبل ممات ونوم طويل في قبر تكدّست عليه أحجار الرجام.

(٤) يقصد الشاعر بثالث الحالين الموت فهو حالة عدميّة تنعدم حركة ابن آدم فيها خلاف حالتي السهر والنوم. يُحسّ المرء انكساراً نفسياً واستسلاماً من قبل الشاعر في مواجهة عبثية الحياة المادية لعدم اهتمامه لما بعد الحياة.

(٥) السرى: السير ليلاً. الخفّ للبعير: بمثابة الحافر للدابة. يبدأ الشاعر قصيدته =

وَلَا يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحِسُّ بِهَا
فَقْدَ الرُّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَمِ (١)
تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا
وَلَا تُسَوِّدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ (٢)
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً
لَوِ ٱحْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ (٣)

= بإحساس تشاؤمي، فيه غصّة وشعور بالألم. فيتساءل وهو يعلم أن الوجود الكوني مفطور على نظام دقيق عجيب، خلقه اللّه سبحانه بخصائص ومزايا يتميز بها عن سائر المخلوقات، وأوكل له عملاً يقوم به. نظر الشاعر إلى السماء فوجدها قد زُينت بنجوم ترافق الوجود برحلته الأبدية، فالإنسان ينتقل برجليه ويتحرّك بإرادته والجمل ينتقل بقوائمه ويدوس الأرض بأخفافها والنجوم تساير موكب الحياة بضيائها. يسأل الشاعر إلى متى المسير؟ وتتوالى الأسئلة في أعماق بني آدم حتى يصل إلى نهاية الحياة. والسؤال عند الشاعر لماذا لا تتشابه الكائنات؟

(١) يُتابع الشاعر وصف ما عليه تلك النجوم من عمل، ألا تنام وتُغمض عيونها كسائر الموجودات المتحركة، ألا تتعب كما يتعب الشاعر، وهو بعيد عن الأهل والوطن في غربة طويلة لا تعرف لها نهاية؟

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٢. العذر، الواحد عذار: جانب اللحية. اللمم، الواحدة لمّة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. يتحدّث عن تأثير الشمس على البشر، إنها تحوّل بياض بشرة الوجه إلى بشرة سوداء، ولكنها لا تقوم بنفس العمل مع الشيب الذي يغزو شعور بني البشر فتتركها تزداد شيباً بمرور الزمن. أليس في ذلك تناقض؟ أم أن لكلّ أسبابه ونتائجه ومستلزماته؟ دون شكّ إنه الزمن يحفر في الوجوه أثره وفي أشعار البشر أثره أيضاً.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٣. الحكم: الحاكم. احتكمنا: رجعنا إلى من يحكم. يُتابع الشاعر تأملاته في ذات الإشكالية التي يُناقشها، فلو عاد المرء يسأل العاقل من بني البشر لأوجب على من أحال بياض الوجوه البشرية أن يُحوّل شيب الشعر إلى سواد، إنه المنطق السليم، ولكن الأمر الآن لا يتعلّق بالمنطق، فالأمر إذاً يتعلّق بخالق الكون ومن فيه وما فيه، إنها المشيئة الإلهية، وعلى المرء أن يُسلّم بواقعه دون مناقشة.

وَنَـتْـرُكُ الـمَـاءَ لَا يَـنْـفَـكُّ مِـنْ سَـفَـرٍ
مَـا سَـارَ فـي الْـغَـيْـمِ مِـنْـهُ سَـارَ فـي الْأَدَمِ(١)
لَا أُبْـغِـضُ الْـعِـيـسَ لٰـكِـنِّـي وَقَـيْـتُ بِـهَـا
قَـلْـبِـي مِـنَ الْـحُـزْنِ أَوْ جِـسْـمِـي مِـنَ السَّـقَـمِ(٢)
طَـرَدْتُ مِـنْ مِـصْـرَ أَيْـدِيـهَـا بِـأَرْجُـلِـهَـا
حَـتَّـى مَـرَقْـنَ بِـهَـا مِـنْ جَـوْشَ وَالْـعَـلَـمِ(٣)
تَـبْـرِي لَـهُـنَّ نَـعَـامُ الـدَّوِّ مُـسْـرَجَـةً
تُـعَـارِضُ الـجُـدُلَ الـمُـرْخَـاةَ بِـالـلُّـجُـمِ(٤)
فِـي غِـلْـمَـةٍ أَخْـطَـرُوا أَرْواحَـهُـمْ وَرَضُـوا
بِـمَـا لَـقِـيـنَ رِضَـى الْأَيْـسَـارِ بِـالـزَّلَـمِ(٥)

(١) الأدم، الواحد أديم: الجلد المدبوغ. يلتفت المرء إلى رحلة الماء العجيبة؛ في الواقع رحلة طويلة عجيبة تبدأ من حالة بخارية وتمرّ بمراحل عديدة اختصرها الشاعر بحالتين: أولاهما الحالة الغيمية وثانيهما الحالة المائية، وفي الحقيقة إنها آخر الرحلة لتملأ الأدم ويستعملها من هو بحاجة إليها.

(٢) العيس: الإبل البيضاء. يُقرّ الشاعر بأنه لا يكره الإبل ولكنها تُعينه على تنفيذ مآربه منها، إنها تقيه وتبعده عن الإحساس بالحزن، فهو يهرب منه ومن مسبباته وكذلك فهي تُعينه على المحافظة على الحياة وتبعد عنه الأمراض بالاستعانة بها.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٣. مرق: خرج. جوش والعلم: موضعان. لقد استعان الشاعر بالإبل للخلاص من شبه الأسر الذي مارسه عليه كافور، فكانت الناقة نعم الراحلة فإذا بها تخبّ به مسرعة حتى استطاع الخروج من جوش والعلم.

(٤) تبري: تعارض. الدوّ: المفازة. الجدل: حبال من جلد أو شعر تكون في عنق الناقة. يُشبّه الشاعر سرعة الإبل بسيرها بالجياد عندما تعدو في المفازة في حال أُسرجت، فإذا بها تباري الخيول وتسبقها.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٣. الغلمة، الواحد غلام. أخطروا أرواحهم: خاطروا بها. الأيسار: القوم يجتمعون على اليسر للمقامرة. الزلم: السهم من سهام الميسر. يصف الشاعر رحلة المخاطر من مصر إلى بلاد =

تَبْدُو لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عَمَائِمَهُمْ
عَمَائِمٌ خُلِقَتْ سُوداً بِلَا لُثُمِ (١)
بِيضُ الْعَوَارِضِ طَعَّانُونَ مَنْ لَحِقُوا
مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَّالُونَ لِلنَّعَمِ (٢)
قَدْ بَلَّغُوا بِقَنَاهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ
وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ (٣)
فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنَّ أَنْفُسَهُمْ
مِنْ طِيبِهِنَّ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ (٤)
نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ
فَعَلَّمُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبُهَمِ (٥)

= العراق، فقد اختار غلماناً خاطروا بأرواحهم ليُوصلوا الشاعر إلى مأمنه، رغم طول المسافة وخطورة الطريق وصعوبتها، وقبلوا بقدرهم وما يُلاقون فيها من ضروب المشقة، وكأنهم في هذه الحالة يُخاطرون بحياتهم كما يفعل المغامرون بما يخرج لهم من الأزلام.

(١) و (٢) اللثم، الواحد لثام. العوارض، الواحد عارض: صفحة الخدّ. شلالون: طرّادون. النعم: الماشية. يصف الشاعر الغلمة الذين شاركوا الشاعر رحلة الخلاص من كافور، إنهم فتية في مقتبل العمر، فإذا ألقوا عمائمهم بدت شعور سوداء تُغطي رؤوسهم، وخدود خالية من عذار، فهم مرد، صفحات خدودهم لم يغزها شعر بعد، أشدّاء يُمكنهم أن يفتكوا بكلّ فارس صنديد، يطاردون النعم ويُغيرون عليها حيث وجودها.

(٣) القنا: الرماح. يمدح الشاعر هؤلاء الغلمان ويُشيد بقوّتهم، فهم يُحسنون استعمال الرماح في حروبهم ومع ذلك فقد قصّرت رماحهم فلم تفهم حقوقهم بما يقدرون.

(٤) يردف الشاعر مدحه لهؤلاء الغلمان، إنهم شجعان، دائمو الإغارة، أفعالهم أفعال أهل الجاهلية، لا يعرفون للحرام باباً، فكلّ شيء لديهم حلال، فلا تطيب نفوسهم إلّا بالقتل وسفك الدماء، فأشهر الحرام لم تُذكر في قاموس حياتهم.

(٥) ناشوا: تناولوا. البهم، الواحد بهمة: الشجاع الذي لا يُدرى من أين يُؤتى. يصف الشاعر أفعال هؤلاء الغلمان في قتالهم أعداءهم، لقد تناولوا الرماح، فأنطقوها بلغة =

تَـخْـدِي الـرِّكَـابُ بِـنَـا بِـيـضـاً مَـشَـافِـرُهَـا
خُـضْـراً فَـرَاسِـنُـهَـا فـي الـرُّغْـلِ وَالْـيَـنَـمِ (١)
مَـكْـعُـومَـةً بِـسِـيَـاطِ الْـقَـوْمِ نَـضْـرِبُـهَـا
عَـنْ مَـنْـبِـتِ الْـعُـشْـبِ نَـبْـغِـي مَـنْـبِـتَ الْـكَـرَمِ (٢)
وَأَيْـنَ مَـنْـبِـتُـهُ مِـنْ بَـعْـدِ مَـنْـبِـتِـهِ
أَبِـي شُـجَـاعٍ قَـرِيـعِ الْـعُـرْبِ وَالْـعَـجَـمِ (٣)
لَا فَـاتِـكٌ آخَـرٌ فـي مِـصْـرَ نَـقْـصِـدُهُ
وَلَا لَـهُ خَـلَـفٌ فـي الـنَّـاسِ كُـلِّـهِـمِ (٤)
مَـنْ لَا تُـشَـابِـهُـهُ الْأَحْـيَـاءُ فِـي شِـيَـمٍ
أَمْـسَـى تُـشَـابِـهُـهُ الْأَمْـوَاتُ فـي الـرِّمَـمِ (٥)

= الموت، فإذا بالناس يسمعون صريرها فبدت كأنها طيور تصدر أصواتاً مزعجة منذرة بموت سريع لا نجاة منه.

(١) تخدي الناقة: تُسرع. الركاب: الإبل. المشافر، الواحد مشفر: وهو للبعير بمنزلة الشفة للإنسان. الفراسن، الواحد فرسن: لحم خفّ البعير، الرغل واليَنم: من ضروب النبات. يصف الشاعر سير الإبل السريع، وهم لا يتوقّفون للاستجمام وطلب الراحة، لذا فقد جفّ الزبد على مشافر الإبل، فإذا بفراسنها اتّخذت اللون الأخضر لها لأنها كانت تطأ الرغل واليَنم من النباتات.

(٢) معكومة: مشدودة مشافرها لئلا تعض أو تأكل. يصف الشاعر معاملتهم للإبل، فقد شُدّت مشافرها لئلا ترعى فتؤخر الركب عن مواصلة المسير، وهم يقصدون المنبت، إنه منبت الفضائل والكرم والشجاعة، أبو شجاع فاتك.

(٣) القريع: السيّد. يُردف الشاعر منوّهاً بمنبت أبي شجاع فاتك، إنه منبت كرم وشجاعة ونجدة كلّ محتاج وموئل كلّ فقير، إنه سيّد العُرب والعجم. لا ريب أن المتنبي، في مدحه لأبي شجاع فاتك وكان قد توفي دلّ على وفاء عظيم يتمتّع به، فلم يكن مدحه نابعاً من طمع أو محاولة ارتزاق.

(٤) يُعقب الشاعر بألم أنه لم يعد هناك في مصر من يقصد مدحه بعد وفاة أبي شجاع فاتك، فهو الكريم الودود ذو الطبع الليّن المتواضع المحبّ لبني البشر، ولو حاول إيجاد بديل له في مزاياه وأخلاقه لما وجد.

(٥) الشيم، الواحدة شيمة: الأخلاق. الرمم: العظام البالية. وبنبرة حزينة يُعلن الشاعر =

عَـدِمْـتُـهُ وَكَـأَنِّـي سِـرْتُ أَطْـلُـبُـهُ
فَـمَـا تَـزِيـدُنِـيَ الـدُّنْـيَـا عَـلَـى الْـعَـدَمِ (١)
مَـا زِلْـتُ أُضْـحِـكُ إِبْـلِـي كُـلَّـمَـا نَـظَـرَتْ
إِلَـى مَـنِ اْخْـتَـضَـبَـتْ أَخْـفَـافُـهَـا بِـدَمِ (٢)
أُسِـيـرُهَـا بَـيْـنَ أَصْـنَـام أُشَـاهِـدُهَـا
وَلَا أُشَـاهِـدُ فِـيـهَـا عِـفَّـةَ الـصَّـنَـمِ (٣)
حَـتَّـى رَجَـعْـتُ وَأَقْـلَامِـي قَـوَائِـلُ لِـي
أَلْـمَـجْـدُ لِـلـسَّـيْـفِ لَـيْـسَ الْـمَـجْـدُ لِـلْـقَـلَـمِ (٤)

= عن أسفه وألم يمتصّ روحه، لقد رحل أبو شجاع فاتك عن عالم لا شبيه له فيه، إنه عالم الأحياء، إلى عالم آخر هناك عالم المساواة، ففي الموت تنعدم الطبقات وتختفي الفروقات بين سائر البشر، إنه عالم الرمم، فالكلّ يعود إلى المادّة الأصلية لبني آدم، لقد تحوّل إلى تراب.

(١) يروي الشاعر قصة البحث عن شبيه لأبي شجاع فاتك؛ فقد افتقده فراح يفتّش عن البديل والشبيه، فلم يعثر على ضالّته في عالم الرجال، فاستخلص درساً أن من ذهب لن يعود، وأنّه أوحد زمانه رغم كثرة الرجال.

(٢) إنها رحلة البحث والتنقيب الفاشلة، عبثاً حاول أن يجد شبيهاً، لذا لو استطاعت الضحك والاستهزاء لضحكت ممّا وقع نظر الشاعر ونظرها عليه لضحكت ملء أشداقها، ولقد جال في صقع عظيم، فإذا بأخفاف إبله تدمى فلم يعثر على شبيه لضالّته.

(٣) يتهجّم الشاعر على من رأى في رحلة عودته من الملوك والأمراء، إنهم أصنام يُعبدون، ويُصلّى لهم، ولكنهم لا يستحقّون ذلك فحياتهم مليئة بالآثام والفضائح تزكم الأنوف بروائح العفن وتصمّ الآذان بمخازيها، لذا فالأصنام التي لا تنطق والتي صيغت من أحجار ألف مرّة أعفّ وأطهر من ملوك البشر.

(٤) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٣. إن الشاعر ينطق بلسان الواقع في أمم تخلّفت في مفهوم الحضارة وتمكّنت من أفرادها المطاعم، فهي تحكم بالسيف، أمّا الأقلام إن لم تكن مطايا للسيف، فلا بدّ من أن تضام وتسحق لأنها تخلّت عن الطاعة العمياء، وراحت تنشر راية العصيان فاستحقت الموت في مفهوم أصحاب السيوف. فإذا بالشاعر ينساق مع أصحاب السيوف، وليكون سيفاً لا بدّ له من مقارعة السيوف كسائر السيوف فيظلم كما يظلمون فيقتلون بعضهم بعضاً.

أَكْتُبْ بِنَا أَبَداً بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ
فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ (١)
أَسْمَعْتِنِي وَدَوَائِي مَا أَشَرْتِ بِهِ
فَإِنْ غَفَلْتُ فَدائِي قِلَّةُ الْفَهَمِ (٢)
مَنِ اقْتَضَى بِسِوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ
أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ (٣)
تَوهَّمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنَا
وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التُّهَمِ (٤)
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الإِنْصَافِ قَاطِعَةً
بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ (٥)

(١) ردّة الفعل لأصحاب الأقلام الاستسلام لأقدارهم، فيلجأون إلى تمويه الحقائق وتزويرها، وهم أقدر الناس على ذلك فبهم تضلّ الرعية إذا ساعدوا أصحاب السيوف فقدت الأمة طعم الطهر والصدق.

(٢) كان الردّ من قبل الشاعر للأقلام، فلنعم الدواء المشار إليه؛ سفك دماء وظلم يعمّ الأرض وسيادة الفوضى حيث ينعدم العدل، والشره والطمع والحسد يدوس الكرامات، فلْيفعل الشاعر ما بدا له وليكتب انتصاره بدماء سوّدت وجه التاريخ في وقت ضاعت فيه القيم النبيلة الإنسانية، وإن لم يفهم الشاعر فهو مريض بقلّة الفهم.

(٣) وردت الأبيات الثلاثة الأخيرة في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٣. الهندي: السيف المصنوع في الهند. يُؤكد الشاعر على إيمانه باستعمال القوّة الممثلة بالسيف الهندي، فمن لم يستعن به، فهو الخاسر، وجوابه للسائل دائماً لم أفعل، لم أوفق، لم أنل لم... لم...

(٤) يرى الشاعر أن من مدحه قد اعتقد فيه العجز عن طلب الرزق بالطرق التي أوصلتهم إلى تولية أمور الناس، فلهم الحقّ أن يتوهّموا ذلك، لأن النفوس إذا اعتادت على التكسّب بهذا الشكل أماتت في النفوس الشعور بالكرامة فيلجأ الشاعر حينئذ إلى التدليس والكذب. ولقد مارس المتنبي هاتين الطريقتين فقد ثار وجمع الجموع وباءت حركته بفشل ذريع وسجن ولولا توسّله واعترافه أنه كان على خطأ في مدعاه لما عاد إلى الحرّية، وهو لم يجبر على مدح ممدوحيه بل إنه كان يستدرّ عطاياهم بنفس منكسرة، لذا كان موضع التهمة في كلتا مرحلتي حياته.

(٥) الإنصاف: العدل وإعطاء الحق أصحابه. ذوي الرحم: القرابة. يرى الشاعر أن من =

فَـــــلَا زِيَـــــارَةَ إِلَّا أَنْ تَـــــزُورَهُـــــمُ
أَيْـدٍ نَـشَـأْنَ مَـعَ الْـمَـصْـقُـولَـةِ الْـخُـذُمِ(١)
مِـنْ كُـلِّ قَـاضِـيَـةٍ بِـالْـمَـوْتِ شَـفْـرَتُـهُ
مَـا بَـيْـنَ مُـنْـتَـقَـمٍ مِـنْـهُ وَمُـنْـتَـقِـمِ(٢)
صُـنَّـا قَـوَائِـمَـهَـا عَـنْـهُـمْ فَـمَـا وَقَـعَـتْ
مَـوَاقِـعَ الـلُّـؤْمِ فِـي الْأَيْـدِي وَلَا الْـكَـزَمِ(٣)
هَـوِّنْ عَـلَـى بَـصَـرٍ مَـا شَـقَّ مَـنْـظَـرُهُ
فَـإِنَّـمَـا يَـقَـظَـاتُ الْـعَـيْـنِ كَـالْـحُـلُـمِ(٤)
وَلَا تَـشَـكَّ إِلَـى خَـلْـقٍ فَـتُـشْـمِـتَـهُ
شَـكْـوَى الْـجَـرِيـحِ إِلَـى الْـغِـرْبَـانِ وَالـرَّخَـمِ(٥)

= أسباب التخلي عن ذوي الرحم عدم الإنصاف في ما بينهم، فكيف بمن لا صلة تربطهم، فالأوجب القطيعة ومحاربة أمثال هؤلاء.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٣. الخذم، الواحد خذوم: القاطع، يقصد بذلك السيوف. يعد الشاعر أنه لن يزور هؤلاء الملوك والأمراء إلّا زيارة مقاتل قد اعتاد على الجلاد وخوض المعارك بصحبة من نشأ في صحبة السيوف، إن لم يُنصفوه ويُقرّوا بحقّه بالسيادة، فإنه آتيهم بجيش محارباً ظلمهم له. وللأسف ضاع تهديده ووعيده هباءً فقد عاد إلى سيرته يتوسّل إليهم متكسّباً.

(٢) شفرة السيف: حدّه. يتضمّن وعيد السيوف التي تقضي بالحق، وتنتصف للمظلوم من الظالم بالقضاء عليه والتخلّص من شروره.

(٣) وردت الأبيات الثلاثة المتتالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٣. قائم السيف: مقبضه. اللؤم: خسة الطبع. الكزم: قصر اليد. يُردف الشاعر حديثه عن علاقته بسيوفه، إنها مصانة محميّة من دنس أيدي الملوك والأمراء واللصوص، وهم أصلاً لا يُحسنون استعمالها؛ فالشاعر من أربابها يُحسن استعمالها وقت الحاجة، فيها يُحقق ما يصبو إليه.

(٤) شقّ: أتعب. يطلب الشاعر من الإنسان ألّا يتأثر لمآسي البشر وأن يعتبرها شيئاً عارضاً، ذلك أن الحياة سريعة الخطى نحو العدم.

(٥) شكا: أخبر عمّا يُؤلمه، ذكر ما يتوجّع منه. تشمت: تفرح عدوّك بمصابك، الرخم، الواحد رخمة: من جوارح الطير الخسيسة. ينصح الشاعر ألّا يُظهر المرء ضعفه =

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ
وَلَا يَغُرَّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ (١)
غَاضَ الْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ
وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ (٢)
سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذَّتُهَا
فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ (٣)
الدَّهْرُ يَعْجَبُ مِنْ حَمْلِي نَوَائِبَهُ
وَصَبْرِ نَفْسِي عَلَى أَحْدَاثِهِ الْحُطُمِ (٤)
وَقْتٌ يَضِيعُ وَعُمْرٌ لَيْتَ مُدَّتَهُ
فِي غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأُمَمِ (٥)

= ويشكو سوء حاله، فحوله من الأعداء آكلي لحوم البشر وسالبي أعراضهم ينتهزون فرصة الانقضاض عليه لعلمهم بأن جراحه تُؤذن بهلاكه القريب، لينهشوا لحمه وعرضه وماله.

(١) يُردف الشاعر أن على المرء أن يحترس في كلّ شؤونه، فلا يكشف لنفسه سرًّا لأحد، وإن بدا ودوداً مؤنساً، إنه المكر المزيّف المبرقع بلثام الغدر المبطّن بحلو الكلام.

(٢) غاض: نقص ونضب. أعوز: ندر وأشرف على النفاذ. يُعبّر الشاعر عن قناعته بأن الوفاء مفقود لدى بني البشر، فالوفاء بضاعة كاسدة لا رواج لها في أسواقهم ومعاملاتهم؛ فالكذب ميزان الربح والخسارة لفسادهم وسوء طباعهم، فلا يصدق أحدهم إلا إذا كان له في الصدق مصلحة يبغي رواجها.

(٣) يعبّر الشاعر عن استغرابه من أن اللّه سبحانه وتعالى قد جعل لذّته في ركوب المخاطر والانتقال باستمرار وعدم الاستقرار في مكان دون سواه، إنها حياة متحرّكة، وكثير من الناس يراها عذاباً وشقاءً، بينما من اعتاد عليها يرى فيها وجوه خير عديدة.

(٤) الحطُم، بالضم، الواحد حَطوم: التي تحطّم من ألمت به. يروى «صبر جسمي» بدلاً من «صبر نفسي». النوائب: المصائب. يفخر الشاعر من أنه يُواجه المصاعب، ويتحمّل نتائجها بصبر وجلد، ولطالما صادفه من الأحداث العظام ما لا تقوى عليه الجبال، ولقد انتصر على الأزمات باستمرار.

(٥) يتسرّب عمر الشاعر من بين يديه، وهو لا بدّ له من البقاء مع معاصريه الذين لا =

أَتَـى الـزَّمَـانَ بَـنُـوهُ فـي شَـبِـيـبَـتِـهِ
فَـسَـرَّهُـمْ وَأَتَـيْـنَـاهُ عَـلَـى الْـهَـرَمِ[١]

يذكرني فاتكاً حلمه

دخل عليه صديق بالكوفة وبين يديه تفاحة من الندِّ مكتوب عليها اسم فاتك وكان قد أهداها إليه فاستحسنها الرجل فقال أبو الطيب:

[المتقارب]

يُـذَكِّـرُنـي فَـاتِـكـاً حِـلْـمُـهُ
وَشَـيْءٌ مِـنَ الـنَّـدِّ فِـيـهِ اسْـمُـهُ[٢]
وَلَـسْـتُ بِـنَـاسٍ وَلٰـكِـنَّـنِـي
يُـجَـدِّدُ لِـي رِيـحَـهُ شَـمُّـهُ[٣]
وَأَيَّ فَـتًـى سَـلَـبَـتْـنِـي الْـمَـنُـونُ
وَلَـمْ تَـدْرِ مَـا وَلَـدَتْ أُمُّـهُ[٤]

= يُقدّرون صفاته الرفيعة، فضلاً عن سوء طبع ونذالة خلق، وتمنّى لو أنه بُعث في زمن غير هذا الزمن، ولذا فإنه يأسف لضياع عمره هباءً في معاشرة أمثال هؤلاء السفلة.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٥. يرى الشاعر أن الحياة قد مرّت بعصور ذهبيّة، فعاش بنوها في رغد من العيش وطمأنينة وسلام وسعادة، وها هو قد جاء في آخر الدهر، وقد ساء كلّ ما في الحياة، البشر، الحيوان، النبات، الطبيعة، لذا لم ير في العيش ما يسرّ ويُريح.

(٢) النّدّ: عود يتبخّر به. لا ريب أن لفاتك في قلب الشاعر مكانة خاصة لما يمتاز به ذلك الفتى، فما يرى أو يسمع بما كان يمتاز به فاتك حتى يتبادر إلى مخيّلة وعقل الشاعر فاتك بحلمه الواسع، فرغم قوّته وشجاعته كان حليماً رؤوفاً بالضعفاء، وكذلك اسمه يرمز إلى الطيب وما يجعل النفس تستريح لعبيره.

(٣) يُتابع الشاعر أنه لم ينس فاتكاً، وما يذكره به عبير الندّ الذي يملأ الجوّ بعبقه الزكيّ.

(٤) المنون: الموت. ينوّه الشاعر بتفرّد فاتك، أي فتًى من نوع خاص، تفرّد بمزاياه وصفاته، ولقد اصطفته المنون من بين البشر، ولقد ولدته أمه مميّزاً ولم تدرِ عن مصيره ومواصفاته شيئاً، فالطبيعة صقلته صقلاً وشذّبته بحيث يخلص من العيوب قلباً وقالباً.